(٢) توحيد الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

مما ورد في هذه العقيدة وقدمناه الإيمان وهو (**الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى ونحن مؤمنون بذلك كله**) هكذا قال الإمام الطحاوي في ثنايا عقيدته جملةٌ حقها التقديم؛ لأنها هي التي تمثل المدخل الواسع لهذه العقيدة فقال -رحمه الله-: (**الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى ونحن مؤمنون بذلك كله**) هذه الأصول يسميها بعض العلماء أركان الإيمان الستة، وقد جاء ذكرها في كتاب الله تعالى مقترنة إلا القدر فإنه لم يذكر معها في نفس السياق فمما جمع الله تعالى فيه ذكر خمسةٍ منها قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة: ١٧٧] هذه خمسة، وذكر أربعةً في آخر سورة البقرة وهي قول الله تعالى: { كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ } [البقرة: ٢٨٥] فلذلك صار بعض العلماء يعبرون بالأصول الخمسة فما بال القدر ذكر منفرداً!

يمكن إن يقال قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل وطبعاً هذا هو الدليل من السنة وهو حديث جبريل عليه السلام حين ابتعث الله سبحانه وتعالى أفضل رسولٍ ملكي وهو جبريل عليه السلام إلى أفضل رسولٍ بشري وهو محمد صلى الله عليه وسلم وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وعلاماتها لما سأله عن الإيمان قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر "وفي رواية والبعث بعد الموت" وتؤمن بالقدر خيره وشره) فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم، ذكر العامل في قوله: (وتؤمن) بينما عطف الأربعة على اللإيمان بالله، فإما أن يقال إن الإيمان بالقدر ركنٌ مستقل وأعاد النبي صلى الله عليه وسلم ذكر العامل تأكيداً لأهميته، وإما أن يقال بل الأصول خمسة وذكره للإيمان بالقدر بعد ذكر الخمسة نوعٌ من التفصيل بعد الإجماع؛ لأن الإيمان بالقدر عند التأمل مرده إلى الإيمان بالله فالإيمان بالقدر لو تأملت فيه لوجدت أنه إيمانٌ بعلم الله وبكتابة الله وبمشيئة الله وبخلق الله، أليست هذه الأربعة هي مراتب الإيمان بالقدر!.

إذاً: هي ترجع إلى الإيمان بالله عز وجل، لكن النبي صلى الله عليه وسلم خصه بالذكر للأهمية وبالتالي فهو لم يذكر مع الأصول في آية {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ} [البقرة/١٧٧] بناءً على دخوله في هذه المسألة، وهذا يرفع عنكم الإشكال الذي تجدونه في شرح الطحاوية لابن أبي العز رحمه الله تعالى في بعض كلامه حينما قال: الأصول الخمسة "وأراد بذلك أصول الإيمان هذه هذا بخلاف الاصول الخمسة التي يعتقدها المعتزلة.

إذاً: هذا هو أصل الاعتقاد الذي يجب أن يؤسس عليه كل مؤمنٍ دينه، وأشرف هذه الأصول هو الإيمان بالله وقد تقدم معنا في الدورة الماضية وغيرها من الدروس أن الإيمان بالله تعالى لا يتم إلا بالإيمان بأربعة أمور وهو: الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، والإيمان بؤلوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته، ولن ندخل في تفصيل هذه الأمور لكن لا يتم إيمانٌ بالله إلا باستجماع هذه الأبواب الأربعة، الإيمان بوجوده والإيمان بربوبيته والإيمان بؤلوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته، وهذه الأبواب الأربعة سوف ترد في ثنايا

هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -

هذه العقيدة ونتناولها إن شاء الله تعالى بالتفصيل.

الإيمان بالملائكة، لايتم الإيمان بالملائكة إلا بالإيمان بالأمور الأربعة: الإيمان بوجودهم، الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه ومن لم نعلم اسمه فإنا نؤمن بها إجمالاً،الإيمان بما علمنا من أوصافهم، الإيمان بما علمنا من وظائفهم وأعمالهم، هذه القسمة الرباعية تستجمع ما يتعلق بالإيمان بالملائكة.

الإيمان بالكتب، لا يتم الإيمان بالكتب حتى تستجمع أموراً أربعة: الإيمان بأنها منزلةٌ من عند الله حقاً، الإيمان بأسمائها ما علمنا اسمه منها آمنا باسمه وما لم نعلم اسمه آمنا به إجمالاً، تصديق ما صح من أخبارها، والعمل بما لم ينسخ منها.

الإيمان بالرسل لا يتم الإيمان بالرسل باستجماع أربع مراتب: الإيمان بأن رسالتهم من عند الله حقاً اصطفاءً من الله، الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه ومن لم نعلم اسمه من أنبياء الله فإنا نؤمن به إجمالاً {مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ } [غافر/٧٨] ، تصديق ما صح من أخبارهم، العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو محمد .

أما الإيمان باليوم الآخر فلا يتم أيضاً إلا بأمور أربعة: الإيمان بما يكون في القبر من فتنة وعذابٍ أو نعيم، ثانياً الإيمان بالبعث وإخراج الناس من قبورهم حفاة عراةً غرلاً بهماً، ثالثاً الإيمان بالحساب وهو محاسبة الله تعالى للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم، رابعاً الإيمان بالجزاء وهو الجنة أو النار، وتحت هذه الأمور تفاصيل يطول ذكرها.

الإيمان بالقدر، لا يتم إلا بتحقيق أمورٍ أربعة: أولها الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيئ جملةً وتفصيلاً كلياً وجزئياً، ثانياً الإيمان بكتابة الله ذلك في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسن ألف سنة، ثالثاً الإيمان بمشيئة الله النافذة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، رابعاً الإيمان بخلقه تعالى لجميع الأشياء وإيجاده لها.

بهذا ينسدل من هذه الأصول الستة أربعةٌ وعشرون بنداً، فينبغي لطالب العلم أن يحسن تصور هذه الشجرة العقدية لكي يقررها في دروسه ومخاطبته للناس على قدر فهمهم واستيعابهم.

فهذا هو أصل الإيمان وأصل الاعتقاد الإيمان بهذه الأصول الستة وقد قال المؤلف –رحمه الله– كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (والقدر خيره وشره) وذلك أن القدر ينقسم إلى خيرٍ وشر، حلوٍ ومر لكن هذا التقسيم إلى خيرٍ وشر وحلوٍ ومر في اعتبار المقدور، فإن المقدور والمقضي يكون خيراً أو شراً، حلوٍ أو مر.

أما باعتبار صدوره عن الله فهو خيرٌ كله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في مناجاته لربه عز وجل: (لبيك وسعديك والخير بين يديك والشر ليس إليك)، فالشر لا ينسب إلى الله عز وجل فإذا سمعت قول النبي :(وتؤمن بالقدر خيره وشره) وفي بعض الروايات (حلوه ومره) في الآثار عن الصحابة والتابعين فهذا التقسيم إلى خيرٍ وشر حلوٍ ومر باعتبار المقدور، فالمقدور منه ما هو خير ومنه ما هو شر، الصحة خير والمرض شر، الغنى خير والفقر شر، السرور خير والحزن شر، النصر خير والهزيمة شر وهكذا باعتبارها مقدورات ومقضيات تنقسم إلى خيرٍ وشر، أما باعتبار صدورها عن الله فهي الخير كله، إما باعتبار ذاتها وإما باعتبار مئلآتها وسيأتي لهذا إن شاء الله مزيد بسطٍ وبيان.

هذه الآية تدلنا على المعنى الذي قررناه آنفاً أن الشر لا ينسب مباشرة إلى الله فمؤمن الجن –رحمهم الله– الذين قالوا هذا القول قالوا: {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن: ١٠] فلما كان الكلام عن الشر أتوا بالفعل الذي لم يسمى فاعله وتأدبوا مع الله فلم يقولوا أشرٌ أراد الله بنا، ولما جاء ذكر الرشد قالوا {أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن:

[١٠

إذاً: قال الشيخ –رحمه الله–(من الله تعالى) هو كله من عند الله عز وجل، قال: **(ونحن مؤمنون بذلك كله)** وكلمة (كله) تدل على أنه تبعيض الدين والاعتقاد، يجب على المؤمن أن يقبل كل ما جاء عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وألا يتخذ القرآن عضين أي مجزأ مقطعاً ينتقي منه ما يشاء ويدع منه ما يشاء {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ} [البقرة: ٨٥] وهذا مسلكٌ والعياذ بالله باطل يسلكه الزنادقة والمبتدعون فينتقون من مسائل الدين ما يعجبهم ويقصون ما لا يعجبهم وهذا ليس إيماناً لأنهم عبدوا عقولهم بهذه الطريقة.

أما إذا قال الإنسان { سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } [النساء: ٤٦] و {كُلٌّ مِنْ عِنْدِ} [آل عمران: ٧]، فهذا المؤمن حقاً لو التبس عليه شيء اتهم عقله ورأيه ونزه كلام ربه وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، أما الذي يقول أنا لا أؤمن إلا بما راق لي وتقبله عقلي فهذا مؤمنٌ بعقله، نحن لا نمنع أن يتعقل الإنسان المسائل لكن أن يجعل العقل شرطاً في القبول هذا منافٍ للإيمان عليه أن يؤمن ثم يتعقل؛ لأن قطعاً ماجاء عن الله أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه موافقٌ لعقل الصحيح وإن شئت فقل إنه موافقٌ للعقل الصريح فإن النقل الصحيح لا يتعارض مع العقل الصريح بل بينهما توافقٌ وانسجام وقد يقع الخلل والآفة في العقل نفسه فيبدوا له الأمر غير ملتئم وهو ملتئمٌ عند غيره فلهذا أمر الله تعالى بسؤال أهل العلم وقال{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء: ٧].

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك له "هذه الجملة العظيمة وهي قوله :" **توحيد الله** ... التوحيد معناه من حيث اللغة: جعل الشيء واحداً، وحّد يوحد توحيداً أي جعل الشيء واحداً، والمراد ها هنا: يعني اعتقده واحداً، فإذا قال الإنسان وحدت الله يعني اعتقدته واحداً فهذا معناه من حيث اللغة .

وأما من حيث الاصطلاح : فهو الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو الرب الخالق، المالك، المدبر ،المستحق للعبادة وحده، المتصف بصفات الكمال ونعوت الجلال، ويتبين من هذا التعريف أن التوحيد ثلاثة أقسام : توحيد الربوبية و توحيد الإلوهية و توحيد الأسماء والصفات .

وهذا التقسيم الثلاثي ليس تقسيماً محدثاً بل إنه عُرف بالتتبع والإستقرار نعم لم يقل النبي ﷺ لأصحابه يوماً من الأيام اعلموا أن التوحيد ثلاثة أقسام كذا وكذا وكذا ، ولكن هذا مما يدرك من النصوص صراحة فالتقسيم على هذا النحو نوع من تقريب العلم وقد نص على هذا التقسيم جمع من الأئمة المتقدمين كأبي جعفر بن جرير الطبري والحافظ بن منده ، وابن بطة ، وغيرهم من العلماء المتقدمين ، وليس تقسيماً محدثاً أحدثه شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله ، كما يزعم بعض الضالين من المعاصرين فإن بعض المعاصرين زعم أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام أنه من استحداث شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله وهذا من الظلم الذي نالوا به من شيخ الإسلام وشيخ الإسلام مسبوق في هذا رحمه الله ودلائل الكتاب والسنة شاهدة على ذلك ويمكن أيضا أن نقسم التوحيد إلى قسمين :

- **توحيد المعرفة والإثبات:** هو التوحيد العلمي هو التوحيد النظري.

➢ **وتوحيد القصد والطلب**: هو توحيد العبادة هو التوحيد العملي.

فأنبياء الله بُعثوا بالأمرين معاً؛ بُعثوا لكي يثبتوا لله تعالى من الناحية العلمية ما ينبغي له من صفات الكمال ونعوت الجلال، وينزهوه عما ألحقه به الظالمون من صفات النقص والعيب ومماثلة المخلوقين.

الأمر الثاني وهو الأهم والأعظم هو التوحيد العملي توحيد العبادة وهو إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة دونما سواه.

لكن كلا النوعين بعث بها أنبياء الله، ودليل النوع الأول – أعني به توحيد المعرفة والإثبات– : قوله **سبحانه {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) }** [الإخلاص]، توحيد علمي.

ودليل النوع الثاني –الذي هو التوحيد العملي–: سورة الكافرون **{ قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) }** [الكافرون]،تأملوا كيف أتى السياق تارة بالجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والاستمرار، وتارة بالجملة الفعلية التي تدل على التجدد. فلا مجال للشرك بأي صورة من الصور.

وهذا التقسيم الثنائي إلى توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد القصد والطلب لا يتنافى مع التقسيم الثلاثي حين نقول أن التوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات يندرجان تحت توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الألوهية هو توحيد القصد والطلب.

إذاً: لابد لنا أن نتبين هذه الحقيقة العظيمة وهو أن أهم فريضةٍ ينبغي لنا أن نؤديها وأن نتقنها هي توحيد رب العالمين، فإنها النجاة والعصمة ويبلغ العبد بالتوحيد ما لا يبلغه بكثير من الأعمال؛ فإنه إذا انعقد التوحيد في قلب المؤمن صار كالنور الذي يكتسح الظلمات ويحرق الخطايا والآثام إذا صح توحيده لربه عز وجل .

- **فأما توحيد الربوبية**: فمعناه توحيد الله بأفعاله.

كيف؟ يعني: أن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق فلا خالق سواه، هو الرازق فلا رازق سواه، هو المالك فلا مالك سواه، هو المدبر فلا مدبر سواه، هو منزل الغيث فلا منزل للغيث سواه، هو منبت الارض فلا منبت للزرع سواه...وهكذا.

توحيد الربوبية: هو توحيد الله تعالى بأفعاله.

والرب في لغة العرب: هو المربي لخلقه بنعمه، إذاً: ذلك يتضمن أفعالاً منه سبحانه وتعالى مما جرى ذكره من خلق ورزق وتدبير وملك وغير ذلك وشفاء وإغناء وغير ذلك من الأفعال التي تكون من الله عز وجل، فيتعين توحيد الله تعالى بهذا النوع.

واعلموا -يارعاكم الله- أنه لم ينازع أحد من الأمم في توحيد الربوبية وإن شاب عقائدَهَم شَوبٌ من الضلالات لكنهم من حيث الأصل مُقِرون بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لا خالق سواه قال الله عز وجل: **{ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله }**[العنكبوت:٦١]

{ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم } [الزخرف:٩]

فكانوا مقرين بأنه يُطْعِم ولا يُطْعَم ويُجِير ولا يُجَار عليه، إلى غير ذلك من صفات الربوبية، حتى الذين نُسب إليهم التثنيه -وهم الثانوية من المجوس- لا يعتقدون أن إله النور و إله الظلمة متكافئان بل يعتقدون أن إله النور أعلى من إله الظلمة، وأن النور قديم والظلمة مُحدثة، وبالتالي لم يقل احد من بني آدم بوجود صانعين متكافئين حتى النصارى حينما يقولون الأب والابن وروح القدس إله واحد هم لا يقولون بوجود ثلاثة أربابٍ متكافئة بل يزعمون بشيءٍ من تزويق الكلام أنه تثليثٌ في وحده ووحدةٌ في تثليث، ولهذا الله تعالى أنكر عليهم وقال: **{وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } [النساء: ١٧١]**.

فجميع بني آدم مقرون بهذا النوع لا يكاد يُعرف أحدٌ أنكر توحيد الربوبية من أصله إلا فرعون، والنمرود، وشُذَاذٌ متفرقون على مر التاريخ، ففرعون قال: وما رب العالمين، والنمرود قال: أنا أحيي وأميت، والشيوعيون في العصور المتأخرة زعموا أن المادة هي التي تخلق وقالوا: لا إله والحياة مادة، لكن هؤلاء جميعاً مُناقضون لقناعاتهم الداخلية فهم في خبيئة نفوسهم غير مقتنعين بما ذهبوا إليه والله تعالى حقق عليهم هذا الإقرار فقال سبحانه وبحمده: **{ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا }** [النمل:١٤]

وأدرك ذلك موسى عليه السلام في محاجته لفرعون فقال له: **{قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا}** [الإسراء: ١٠٢] فهو يقرره بما يجد في نفسه **{ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر }**.

لكن قد شَذ من شَذ -كما أسلفت- فممن شذ: **الفلاسفة الدُهْرية** الذين يقول قائلهم : {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: ٢٤] فنسبوا ذلك للدهر .

ومنهم: **القائلون بالطبيعة** الذين يزعمون أن الطبيعة أوجدت نفسها بنفسها وأنها خلقت نفسها بنفسها، وهذا مما تأباه العقول بداهةً إذ أن الشيء لا يوجد نفسه، لكنهم يلجئون إلى هذه المضائق فراراً من الإذعان إلى الحق.

ومذهب الطبيعة مذهب قديم ولا يزال سارياً عند المدارس الفلسفية المعاصرة القائلون بالطبيعة (نيتشر) يزعمون أن الطبيعة هي التي تبدع الأشياء، وتجدون ذلك في كتاباتهم وأدبياتهم حينما يقولون: أبدعت الطبيعة هذه اللوحة الجميلة ونحو ذلك، أو غضبت الطبيعة فحصل هذا البركان والزلزال وغير ذلك؛ هذه يقولونها عن اعتقاد لا يقولونها توسعاً أدبياً لا، لأن لها جذور إلحادية نسبة الأشياء إلى الطبيعة.

كذلك: **القائلون بالصدفة** الذين يزعمون أن هذا الكون وُجد صدفةً وأنه دون تدبير مسبق، وكل هؤلاء يهربون من الحق الدامغ ويتشبثون بخيط العنكبوت **{إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه }** [غافر:٥٦] ولهذا نسف الله سبحانه وتعالى هذين المذهبين بجملتين فقال الله سبحانه وتعالى **{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور: ٣٥]**

{أم خلقوا من غير شيء}:هذا نقضٌ لمذهب الصدفة، **{ أم هم الخالقون }**: نقضٌ لمذهب الطبيعة، لأن لا يمكن لشيء أن ينشيء نفسه بنفسه؛ لأنه قبل أن يوجد كان عدماً والعدم لا ينشيء وجوداً، ولما سمع هذه الآية جبير بن مطعم ﷺ وكان من أسرى بدر مربوط إلى سارية من سواري مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قال: كاد قلبي أن يطير وذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي، بآية واحدة من كتاب الله فلذلك كل هذه مناقضة لما عليه جمهور بني آدم.

فالقائلون بالطبيعة، والقائلون بالصدفة، الفلاسفة الدهرية، الأفراد، الملاحدة، على مر التاريخ كل هذا نشاز في تاريخ البشرية، والبشر من حيث العموم مقرون بوجود الله عز وجل، مقرون بربوبيته وخلقه وملكه وتدبيره.

- **أما النوع الثاني: فهو توحيد الألوهية** وهو: توحيد العبادة الذي ابتعث الله تعالى به الرسل، وتوحيد **الألوهية: هو توحيد الله بأفعال عباده.**

ما هي أفعال العباد؟ ما يتقرب به العباد إلى معبودهم من الدعاء، والاستغاثة، والاستعاذة، والاستعانة، والصلاة: ركوع، وسجود، وقيام، وقعود. وطواف، وسعي، وإماطة الأذى عن الطريق، والمحبة، والخوف، والرجاء، أفعال العباد، فمعنى توحيد العباد أي: إفراد الله تعالى بالعبادة فلا يصرف المتعبد شيء منها لغير الله عز وجل، فهذا التوحيد هو الذي جاء به أنبياء الله وواجهوا به أقوامهم، ولم يكن بينهم وبين أقوامهم خلافٌ في النوع الأول الذي هو توحيد الربوبية، وإنما حلبة الصراع ومعترك النزاع في هذا الأمر.

و لما سمع كفار قريش دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى التوحيد سخِطوا وعجِبوا وأبوا وأتوا إلى أبي طالب وقالوا له: يا أبا طالب هذا ابن أخيك سفه أحلامنا، وشتم آلهتنا، فخذ لنا منه وخذله منا فبعث أبو طالب إلى النبي ﷺ وكان إلى جانبه مجلسٌ يتسع لرجل فلما أقبل النبي صلى الله عليه وسلم قام الخبيث أبو جهل وجلس في ذلك الموضع خشية أن يحل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرق له قلب عمه فقام النبي صلى الله عليه وسلم على صائر الباب ممسكاً به **فقال له أبو طالب**: يا ابن أخي هؤلاء قومك أتوني وقالوا خذ لنا من ابن أخيك وخذ له منا، **فقال النبي** صلى الله عليه وسلم: يا عمي لا أسالهم إلا كلمةً واحدة، **فجثى أبو جهل على ركبتيه وقال**: وأبيك نعطيك عشرة -يعني عشر كلمات لا واحدة-، **فقال**: قولوا: لا إله إلا الله، فقام القوم ينفضون أُزرهم ويقولون: **{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } [ص: ٥] ويقولون {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} [ص: ٧]** ثم مضوا ونفروا كما تنفر حمر الوحش؛ لأنهم يدركون ما معنى هذه الكلمة أي: يوحدوا الله بالعبادة وأن يبطلوا هذه الأصنام المبثوثة في المسجد الحرام، ثلاثمائة وستون صنما لم يسلم بيت الله الكعبة في جوفه من وجود هذه الأصنام، وأصنام فوق البيت، وأصنام في كل مكان، وبين الصفا والمروة قد بثوها في عبادتهم وأفسدوا بها عباداتهم، وإلا فقد كانوا يعبدون الله لكنهم يعبدون معه غيره، يقول قائلهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، ملكته وما ملك؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم أتى إلى قوم مقرين بتوحيد الربوبية لا ينازعون في ذلك، وإنما أتاهم بتوحيد العبادة، وكذا الأنبياء من قبله، هذا إبراهيم عليه السلام يقول لقومه: **{إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} [الزخرف: ٢٦-٢٧]** إذاً معنى ذلك إذا قلنا أن الاستثناء متصل: أنهم كانوا يعبدون الله عز وجل لكن مع جملة معبوداته فلهذا تبرأ من معبوداتهم واستثنى ربه عز وجل من ذلك، وهؤلاء أصحاب الكهف يقول قائلهم: **{وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ } [الكهف: ١٦]** إذاً قد كانوا يعبدون الله لكن يعبدون معه غيره، فلابد من التفطن لهذا المعنى الدقيق: الله سبحانه وتعالى أغنى الشركاء عن الشرك كما قال في الحديث القدسي "**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**" وهو الأمر الذي يجب أن يتفطن له مشرك هذا الزمان ممن يدعون غير الله ممن يطوفون بالقبور والأضرحة وينادون بأسماء الغائبين والموتى ومن يعتقدونهم أولياء يظنون أنهم بذلك لم يخرجوا من رقة الإسلام ومن دائرة الدين وهم في الحقيقة وقعوا فيما وقعت فيه قريش فإن قريشاً كان يقول قائلهم **{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } [الزمر: ٣]** وهؤلاء مثلهم يقولون: هؤلاء لهم جاه عند الله ومنزلة فنحن ندعوهم لقربهم من الله، لا فرق بين الصورتين. ولو قال قائل: قريش كانت تتوسل بالأصنام ونحن نتوسل بالصالحين، فإنه يجاب عليهم: أن ممن أنكر عليهم القرآن من كانوا يتوسلون بالمسيح عليه السلام وأمه والصالحين، فقد قال الله عز وجل: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ**

يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ } [الإسراء: ٥٧] إذاً: فقد كانوا يجعلون وسائط من أناس صالحين يدعون الله يرجون رحمته ويخافون عذابه فلم يكن تقربهم فقط إلى الأصنام بل كانوا يتخذون وسائط من الصالحين من الملائكة، من الأنبياء، من المعروفين بالصلاح كاللات... وغيرهم، فهذا هو النوع الثاني وهو توحيد الألوهية الذي بعث الله تعالى به جميع أنبيائه ورسله .

- **وأما النوع الثالث فهو توحيد الأسماء والصفات:**

وهو اعتقاد ما أثبت الله سبحانه وتعالى لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى على وجه لا يماثله فيه مخلوق كما قال سبحانه وبحمده: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى: ١١]**.

فتوحيد الأسماء والصفات: هو إثبات ما أثبت الله لنفسه أو أثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وسيأتي لكل من الأنواع الثلاثة مزيد بيان .

يقابل –أيها الكرام– هذه الأنواع الثلاثة من التوحيد ثلاثة أنواع من الشرك فإنه قد وقع الشرك في الربوبية ووقع الشرك في الألوهية ووقع الشرك في الأسماء والصفات فتجب البراءة من جميع هذه الصور .

- **وقع الشرك في الربوبية** فيمن يعتقد أن لأحد في هذا الكون شرك في التدبير كما يعتقد مثلاً: المجوس بأن إله الظلمة يخلق الشر دون الخير، وكما يعتقد مثلاً: مشركوا العرب بأن آلهتهم قد تضر وقد تنفع ولذلك يستقسمون بالأزلام، وكما يعتقد الخرافيون من المتصوفه وغيرهم أن أوليائهم يضرون وينفعون ويمدون ويقطعون إلى غير ذلك فهذا شرك في الربوبية فكل من اعتقد أن لله شريك في الخلق أو في الملك أو في التدبير فقد وقع في شرك الربوبية والضالون ما بين مقل ومستكثر من هذا الباب.
- **ووقع شرك في الإلوهية** وما أكثره فإن الشرك في الألوهية كثير وهو غاية ما يرجوا الشيطان و يتمنى لأنه يدرك أن هذا أقرب وأقصر طريق إلى النار **{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر: ٦٥، ٦٦]** فالشرك في الألوهية: بدعاء غير الله بالاستعانة بغير الله، بالاستغاثة بغير الله، بالسجود لغير الله، بالتقرب بأي نوع من أنواع العبادات القلبية، أو المالية، أو اللسانية، أو البدنية لغير الله شرك في الألوهية شرك في العبادة وهذا كثير .
- كذلك **وقع الشرك في الأسماء والصفات:** بأن يثبت أحد لغير الله عز وجل وصفاً لا يليق إلا بالله عز وجل فهذا يكون شركاً في الأسماء والصفات.

- **والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..**

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ